السلوك الخاطئ يزرعه الآباء ويحصده الأبناء!!

الأسرة.. المدرسة.. المجتمع.. وسائل الإعلام..دور قاصر ومحدود

□ أشخاص كُثر يمارسون سلوك العنف اللفظي الذي يتضمن الازدراء والسخرية والاستهزاء والسباب وغير ذلك من التصرفات غير الأخلاقية.

هؤلاء هم أصلاً ضحايا التربية الخاطئة التي استخدمها آباؤهم وأمهاتهم مع تصرفاتهم وأفعالهم، فالخلافات الزوجية المستمرة والألفاظ البذيئة والسيئة التي يتلقاها الأبناء من آبائهم دفعتهم إلى التلفظ بكلمات سيئة، بل إنهم اعتادوا النطق بها في كل وقت وحين ولأي شخص كان، لينقلوا هذا السلوك إلى زملائهم وأصدقائهم وينتشر السلوك ويصبح عادة لا يمكن للأسرة والمجتمع أن يتغلب عليها ويحد منها.

حين يشعر الفرد بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادية إلى الآخرين، فإنه يلجأ إلى استخدام الألفاظ المنبوذة والسيئة لتحقيق ذلك، هذا التصرف أصبح سائداً في أوساط الكثير من أفراد المجتمع ويظهر من خلال الممارسات والألفاظ التي تصدر من الأفراد، سواء أكان ذلك على مستوى الشارع أو البيت أو المدرسة، هذا السلوك، الذي بدأ يتفاقم وينتشر في الآونة الأخيرة، له أسبابه المختلفة والمتعددة.

تحقيق/افتكار أحمد القاضي

تأثيرات

□ الشاب «عارف عبدالله» منذ طفولته وهو حاد الذكاء وسريع البديهة، وعند التحاقه بالمدرسة كان الأول على زملائه، إلاَّ أنه بعد ذلك تقهقر ذكاؤه وأصيب بالإحباط والبلادة، لا لشيء، ولكن لأن والديه يمارسان معه كل أنواع العنف، خاصة العنف اللفظي في حالة ارتكابه أي خطأ ولو كان بسيطاً، إلى جانب ذلك فوالداه هما - أيضاً - يتلفظان فيما بينهما بكلمات سيئة وغير معقولة، مما أثر على حياة وسلوك «عارف» بشكل سلبي.

يقول «والد عارف» : «عارف» هو الوحيد من أبنائي الذي كان يتميز بذكاء حاد، وكان يحصل على المرتبة الأولى بين زملائه في المدرسة، إلاَّ أنني ووالدته - للأسف الشديد - لم نكن نراعي تصرفاتنا معه، وكنا نعاقبه على كل خطأ يرتكبه ودائماً ما كنا نلجأ إلى تهديده والصراخ عليه بألفاظ قاسية وسيئة، وقد كان يصل بنا الأمر إلى المنازعات والمشادات فيما بيننا وهو ينظر إلينا صامتاً دون حراك، وتمر الأيام وأكتشف أن ابني لم يعد ذكياً كما كان سابقاً، بل إنه يرسب في بعض المواد، وهكذا حتى أصبح يرسب سنة كاملة، أضف إلى ذلك أن صمته انقلب إلى مشاجرة من الدرجة الأولى، ليس على مستوى أفراد الأسرة فحسب، بل وعلى مستوى الجيران والشارع، وأتمنى أن يعود ابني إلى ما كان عليه.

«والد عارف» أرجع سبب تدني مستوى ابنه إلى أسلوب التربية، وقال : أنصح كل أب وأمٍ بعدم استخدامهم الألفاظ السيئة والبذيئة والابتعاد عنها وتربية أبنائهم بالكلمة الطيبة والتعامل معهم بتوازن واعتدال.

عنف متبادل

□ لا يقتصر العنف اللفظي على أسرة أو مجتمع بعينه، بل إنه سلوك شائع في كل بيت ينتقل من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع، ويتجسد هذا السلوك بشكل أو بآخر في الأزواج، إذ لا يخلو منزل يجمع تحت سقفه زوجين من وجود العنف اللفظي من كلا الزوجين في الغالب أو أحدهما.

«نادية بدلاً» من أن تقابل زوجها بالابتسامة والوجه البشوش والكلام الطيب المعسول، تقابله بوجه عبوس وبأسئلة قاسية : أين كنت؟ ولماذا تأخرت؟ ومذا أحضرت معك؟ وماذا اشتريت لأولادك؟ وغيرها من الأسئلة والاستفسارات الفظة، فيدخل الزوج وقد انقلبت أحواله وتغيرت طباعه.

تقول «نادية» : بعد أن أنزع شحنة الغضب الموجودة بداخلي أشعر بالذنب والحرج على ما بدر مني، لكنني لا أستطيع أن أظهر ذلك باعتذاري لزوجي بشكل مباشر، بل أحاول أن أقوم بعمل أشياء معينة كأن أمنع الأولاد من إزعاج والدهم وأبادر إلى إعداد الشاي والأكل وتقديمه، لكنه في الغالب يبادرني بكلام قاس لا يخلو من السب ويتهمني بأنني امرأة متسلطة وثرثارة وغيرها من الألفاظ والكلمات الجارحة، وتبدأ الخلافات تتصاعد والأولاد يشاهدون ويسمعون هذا الموّال كل يوم، وأصبحوا الآن - بعد أن كبروا - أول ما يسمعوننا نتعارك يدخلون غرف نومهم ويغلقون الأبواب على أنفسهم، وقد تولدت لديهم عقد نفسية بسبب هذه الخلافات التي لا تنتهي وتتكرر كل يوم وانعكست آثارها على الأبناء.

غياب الرقابة

□ التربية غير الصحيحة والرفقة السيئة ووسائل الإعلام غير الهادفة، كل ذلك أدى بشبابنا إلى ممارسة سلوك غير مألوف، فينزلون إلى الشوارع والأسواق ويتلفظون بألفاظ وكلمات سيئة يوجهونها إلى أي فتاة تمر في الشارع، وقد تجدهم يتجمعون في الأماكن التي تتواجد فيها النساء ليصدروا الأصوات العالية والكلمات البذيئة الموجهة إليهن.

«علياء»، التي تذهب كل يوم إلى الجامعة، تجد في طريقها ذهاباً وإياباً، شباب حارتها يرتصون على الرصيف ليلقوا كلمات السخرية على أي فتاة تمر أمامهم.

تقول «علياء» : عند خروجي من المنزل لأي غرض والعودة إليه تقابلني ألفاظاً بذيئةً وكلمات سخرية لا تطاق، هذه الألفاظ تصدر من بعض شباب ورجال الحارة، لست المقصودة بها شخصياً فحسب، بل أي فتاة تمر من هذا المكان تقابل نفس التصرف والأسلوب المنبوذ من هؤلاء الشباب.

روح عدوانية

□ التنشئة الاجتماعية غير السليمة تؤثر في نفوس الكثير من الأبناء ورفع الروح العدوانية لديهم، خاصة إذا كانت مبنية على الردع والذم والسباب، هذه العوامل تخلق الروح العدوانية المكبوتة لدى الطفل، بينما يساعد الاستفزاز على تأجيج العنف وتفاقمه.

وتشير الدراسات التربوية المدرسية إلى أن نسبة (٨٥٪) من الصراعات التي تحدث بين الطلاب ترجع إلى المشادات اللفظية السيئة بين الزوجين، كما أن نسبة (٧٥٪) من هؤلاء هم من ذوي العائلات ذات المشاكل الأسرية غير السليمة، لذا فالمسؤولية الأولى تقع على عاتق الأسر في تربية أبنائها وتنشئتهم تنشئة صحيحة وسليمة، فالتربية الصحيحة المبنية على الأخلاق الرفيعة والحميدة هي أساس رقي المجتمع وتهذيبه، وهذا ما يؤكد عليه الخبراء التربويون ويحثون الأسر على أن تتحلى بالقيم والمبادئ الأخلاقية التي نص عليها ديننا الإسلامي الحنيف، وأن تسعى جاهدة إلى تربية أبنائها تربية لفظية مأخوذة من وحي ديننا وقيمنا الإسلامية، لأن الأسرة بدون التحلي بهذه التربية لا تحقق الأهداف المرجوة منها، إضافة إلى ذلك يجب على الأسرة أن تنصح أبناءها بالاقتران بصحبة مهذبة وذات أخلاق عالية، لأن ذلك يؤثر على سلوك الأبناء وشخصياتهم إلى جانب الأسرة، كما أن وسائل الإعلام، وبالذات المرئية منها، لها دور مساعد في تعميق هذه الألفاظ في نفسية المشاهد من خلال المسلسلات والبرامج التلفزيونية وما يصدر عنها من ألفاظ يلتقطها الشباب وتصبح مصدر فخر عندما يتلفظ بها.

جيل سوي

□ الدكتور طه غانم، أستاذ التربية بكلية التربية، جامعة صنعاء، يقول : التمسك بالقيم والسلوك الأخلاقية الإسلامية والتحلي بها ضرورة حتمية لإنشاء وتربية جيل سوي، لأن الدين الإسلامي يرفض العنف والألفاظ السيئة والمنبوذة التي تؤدي إلى تفكك المجتمع وزرع روح الخلاف والكراهية في أوساطه، وهناك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يدل على ذلك، لذا يجب على الأسرة والمجتمع أن يقوما بدور التربية الحسنة، كما على المدرسة أن تهتم بالتربية أولاً قبل التعليم والتحفيظ والتلقين.

أسباب مختلفة

□ مشكلة العنف اللفظي التي تتفاقم يوماً بعد آخر في أوساط المجتمع بشكل عام، يصنفها علماء الاجتماع إلى ثلاثة أنواع هي : العنف النفسي، والعنف الجسدي، والعنف اللفظي الذي نتناوله في سياق هذا التحقيق، والذي يتمثل في الازدراء والسخرية والاستهزاء والسباب من قبل الوالدين للأطفال والشباب المراهقين، هذه التصرفات كفيلة بأن تحدد ملامح أساسية في شخصياتهم وتؤثر على الكثير منهم برفع الروح العدوانية، فالتنشئة الاجتماعية المنزلية المبنية على الذم والسباب... الخ تحفز ظهور الروح العدوانية المكبوتة لدى الطفل لتثير فيه العنف والحقد والكراهية واستخدام القوة للرد من أجل رفع القهر الناتج عن هذا الاستهزاء، إذ تشير التقارير المدرسية إلى أن أكثر المشاكل العنيفة بين الطلاب كانت بسبب السخرية والاستهزاء الذي ينتج عنهم.

يقول أساتذة وعلماء الاجتماع : إن أسباب العنف اللفظي بدايتها وأساسها إهمال الآباء لأبنائهم في توجيه سلوكهم، فكثير من الآباء إما أن يكونوا صغاراً في السن أو مفتقرين للخبرة، وقد لا يجيدون الاعتناء بأطفالهم ولا يعون احتياجاتهم في مراحل نموهم المختلفة، كما أن الظروف الاجتماعية تشكل ضغوطاً إضافية على الأسرة، من هذه الضغوطات الفقر والطلاق والمرض وغيرها، وكل ذلك يؤدي بالآباء إلى تفريغ شحنة إحباطهم وغضبهم على الأطفال ويسيئون معاملتهم لتنعكس سلباً على حياتهم وتصرفاتهم مع أفراد المجتمع.

الأسباب

□ الكلمة الطيبة الوادعة - كما جاء في الحديث النبوي الشريف : «الكلمة الطيبة صدقة» - تدفع العنف والكراهية وتربي نفس الفرد على المودة وتساعده على حسن السلوك، وبإشاعة روح الكلمة الطيبة في المجتمع لن يجد العنف مجالاً للنمو والترعرع، وهذا ما يحبذه وينصح به أساتذة علم النفس في التعامل مع الأبناء داخل الأسرة بشكل خاص ومع المجتمع بشكل عام، وذلك لأن الكلمة الجارحة والتعبيرات القاسية التي تصدر من ملامح الوجه، والتي تعد نوعاً من أنواع العنف، تؤثر بشكل سلبي على تصرفات الشخص وسلوكه اليومي، هذه الإشكالية يرجع أساتذة علم النفس أسبابها إلى انفتاح المجتمع على العالم وتأثره بالقيم والمبادئ غير الحميدة التي تصبح، مع مرور الزمن، ملازمة لسلوك وتصرفات الفرد، كما أن الظروف الاقتصادية الصعبة والاختلاط بالمجتمع وعدم التفاهم بين الزوجين، كل ذلك يؤدي إلى صدور ألفاظ غير مهذبة من قبل المجتمع.

مرض خطير

□ الدكتورة فاتن عبده محمد، أستاذة علم النفس بكلية الآداب، جامعة صنعاء، تقول : تعد مسألة العنف اللفظي من أخطر الأمراض النفسية التي تؤدي بصاحبها إلى القلق والتوتر والاكتئاب، بل إنه قد يعيش في عزلة عن أصحابه وأصدقائه ويكن لهم الكراهية والحقد، والسبب في ذلك يرجع إلى إهمال الآباء في التربية والمجتمع في التوجيه، لذا يجب على جميع الآباء والأمهات أن يحترموا ألفاظهم أمام أبنائهم، كما أننا لا ننسى دور المدرسة في هذا الجانب، فهي تعتبر المسؤولة بعد الأسرة في تهذيب سلوك الطفل بشكل سليم وجعله قادراً على كسب احترام الآخرين ومودتهم.

دور الإعلام

□ تكاد تكون وسائل الإعلام، وخصوصاً المرئية، الأداة الأكثر فاعلية في ترسيخ الألفاظ السيئة وإثارة المشاجرات والانفعالات بين أفراد الأسرة الواحدة لما تنقله من دعاية سيئة وكلمات وألفاظ غير سليمة، كما بات سلوك العنف المنقول عبر الشاشة الصغيرة هو السلوك البطولي الأكثر سيطرة على المتلقي ونقل السمات المكتسبة إلى الأطفال وإلى مختلف الفئات العمرية بواسطة هذا الجهاز - الأب البديل للطفل - بما يقدمه من مادة إعلامية مغلفة بالحلوى والشوكولاتة، وما أفلام (الكارتون) والمسلسلات الاجتماعية الداعية إلى أن يكون البطل أكثر عنفاً وسخرية بالآخرين، إلاَّ دليل على أن للإعلام دوراً في تعميق هذا العنف لدى مشاهديه، لذا يظل التلفزيون الوسيلة الفعالة في قوة التأثير إعلامياً ويؤثر في الناس سلباً أو إيجاباً ويغير اتجاههم نحو قضايا معينة كما هو حاصل مع مسألة العنف اللفظي وانتشارها في أوساط المجتمع، والذي يعد سبباً من أسباب تفاقمها إلى جانب الأسرة والمدرسة والشارع.

الحلول

□ نستطيع القول إن التربية الصحيحة وغرس القيم والمبادئ السامية من قبل الأسرة للأبناء، والحوار المتبادل بين الأبناء والآباء، واتخاذ مبدأ الثواب والعقاب التدريجي، وزرع روح التعاون والمحبة بين أفراد الأسرة والمجتمع ككل، كل هذه الحلول يشدد عليها أساتذة وعلماء النفس والاجتماع والتربية، كما أنهم يؤكدون على ضرورة دور الإعلام في الحد من هذه الظاهرة، وذلك عن طريق بثه لبرامج تحمل في طياتها قيماً وأهدافاً تتماشى مع قيم ديننا الإسلامي الحنيف، وذلك حتى يتحلى بها الشباب بدلاً من السلوك السائد الذي قد يفسد المجتمع ونحن في غفلة، كما أن للتربية والمدرسة دوراً مهماً جداً في ذلك، حيث يجب على المدارس أن تهتم بالجانب التربوي قبل الجانب التعليمي، فبدلاً من أن تهتم وتركز على تلقين وتحفيظ الطالب كل ما في المنهج، عليها أن توجد فيه، بشكل مباشر أو غير مباشر، الكيفية أو الطريقة التي تهذب سلوكه بشكل صحيح.

تبادل المشادات الكلامية بين الزوجين يؤثر سلباً على سلوك الأبناء

(١)

(٢)

أشواق

عبدالكريم الخميسي

أين الإنسانية؟؟

■ علمتُ أن امرأة كانت تعيش في فضل من الله، وكان يعولها زوجها العجوز، فلما توفاه الله ترك لها بيتاً صغيراً، ومرتباً ضئيلاً، وطفلاً ضريراً نذرت نفسها لرعايته، واستمرت على هذه الحال أكثر من عشرة أعوام حتى جاء «المدير الجديد» وقرر قطع ذلك المرتب الذي لا يسمن ولا يغني من جوع وقدره ألف ريال .. نعم ألف ريال في الشهر!!

■ كانت الأرملة قد وطنت نفسها على ذلك الألف، ولم تكن تتصور أنها قادرة على أن تعيش بدونه، فكانت تردد تلك المقولة الشهيرة : «قطع الرأس ولا قطع المعاش» .. فتدخل أهل الخير وحاولوا إقناع المدير بإعادة النظر في قراره، فلم يفلحوا، ولما جاء موعد صرف المعاشات ذهبت لأمين الصندوق لعل وعسى، فقهرها ورجعت بيتها خائبة تبكي.

■ قال الراوي : وقبل أن تصل إلى البيت سقطت في الطريق واتضح أنها مصابة «بجلطة» في شرايين القلب، وتم إسعافها إلى مستشفى الثورة الذي قرر إجراء عملية عاجلة إذا هي دفعت مائتين وخمسين ألف ريال، فسارع أهل الخير لتجميع المبلغ بعد شق الأنفس، بينما حالتها تزداد سوءاً .. وما إن دخلت غرفة العمليات حتى فارقت الحياة وتركت وحيدها المعوق لعواصف الزمان.

■ ومع التسليم بقضاء الله وقدره، إلاَّ أن قطع الألف الريال كان بداية «المأساة» ويقال إن إدارة المستشفى رفضت إعادة المبلغ لصالح اليتيم المعوق .. فأين الإنسانية يا ناس؟؟

ص.ب: ٤٨٤١ صنعاء
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

العالم.. أمام همّ مشترك

■ الأرض هي البيت الواحد التي يعيش عليها جميع سكان العالم واحتياجاتهم الأساسية التي تؤمن لهم الحياة وتناسل الأجيال لاتختلف من إنسان الى آخر دون تمييز للون أو الجنس أو الدين.

● احتياجات لاتتعلق بحدود الدولة .. أو بظروفها الاقتصادية أو الاجتماعية، وإنما ترتبط بالاحتياجات الفيسيولوجية للانسان وتلك الحاجات هي: الهواء والماء والغذاء .. ومجمل هذه الاحتياجات وهبنا الله لها ودلّنا إليها من خلال بيئة الأرض التي نعيش فيها.

● وبإجماع كل المهتمين فإن البيئة تعاني اليوم من أخطار ومشكلات معقدة لم تعرفها البشرية من سابق.

ولعل بريق التقدم التكنولوجي قد صرف سكان العالم عن انعكاس هذا التطور على البيئة .. وبالتالي أصبح الإنسان وباقي الكائنات الأخرى هي المهددة بالدمار والاندثار.

● والمظاهر متعددة وواضحة للعيان .. فعشرات آلاف الكيلومترات المربعة من الغابات أزيلت وطمست معالمها لتحل محلها الصحراء القاحلة .. وعدد كبير من أنواع الحيوانات والنباتات انقرضت .. وبالمقابل ارتفعت فيضانات البحار والأنهار فداهمت أراض زراعية واقتحمت العديد من المدن فأنهت ملامحها.

● تحميل التطور التكنولوجي الجزء الكبير من هذه المشاكل ليس تمسكاً بالتخلف الذي تعاني منه الدول النامية وإنما هذه حقيقة أثبتها علماء الدول الكبيرة.

● فكل تلك الكوارث توعز إلى النهم الكبير والإفراط في استهلاك الموارد الطبيعية بدون رؤية للتنمية المستدامة.

وكذلك بسبب انبعاث الغازات الكيميائية التي تنفثها المصانع والمركبات والمعدات الصناعية التي كان لها الدور المباشر في تآكل طبقة الأوزون فنفذت من ثقبها الأشعة التي جاءت بالحرارة المرتفعة وإحداث الخلل في التوازن البيئي.

● والسبب الثالث جاءت به الحروب والنزاعات التي تستخدم فيها الأسلحة المرعبة والمدمرة..

● كل ذلك نتاج تقدم تكنولوجي .. ولكنه في حقيقة الأمر يفتح طريقاً كبيراً للتخلف الانساني إذا ماظلت موارد الأرض تهتك بهذه القسوة والجنون .. وإذا ماستمر انبعاث الغازات دون تعقل . فالكل متضرر من هذا التصرف الأحمق .. ولكن كما يقال: «الله لايسامح من كان السبب الأول والمباشر».

ALariky @ Maktoob. Com